مقدمة

ظل المجتمع الاسلامى وخاصة فى مصر حتى القرن التاسع عشر يحافظ على تراثه الثقافى ويسير على شريعة الله كما جاءت فى القرآن والسنة فى تنظيم امور حياته التعليمية . فحتى وقت قريب كانت المراحل الاولى للتعليم تبدأ بتعليم الطفل القرآن والدين فى المعهد العلمى الذى اصطلح على تسميته بالكتاتيب منذ ظهور الاسلام ، وكانت المعاهد الازهرية والجامع الازهر هو امل الافراد الذين لديهم طموحا واستعدادا للعلم والتفقة فى الدين ، وكانت الافكار التربوية والطرائق والمناهج والنظام التعليمى نظاما اسلاميا حقيقيا ونبغ كثير من العلماء فى شتى مجالات الحياة ممن تعلموا تعليما دينيا أمثال الشيخ محمد عبده ورفاعة الطهطاوى وطه حسين وغيرهم كثيرين .

غير أنه منذ ان بدا المجتمع الإسلامى يستورد افكاره التربوية ونظمه التعليمية من بلاد غير اسلامية اهتمت الدولة الاسلامية بالناحية العلمانية وفصلت بين العلم والدين وسار المجتمع الاسلامى وراء النهضة العلمية الأوربية التى بهرته منذ الحملة الفرنسية على مصر، وبعد الاحتلال البريطانى للمصريين حاول المستعمر القضاء على النزعة الدينية وعمل على تفتيتها حتى لا يستطيع اى بلد اسلامى أن يرفع رأسه من جديد . فأهمل المستعمر الكتاتيب وعمل على تشجيع المدارس الحديثة التى تفصل بين العلوم العقلية والعلوم النقلية الدينية . وجعل الوظائف العليا والحكومية قاصره على خريجى المدارس الحديثة فكان ذلك عاملا مشجعا للاهالى على الحاق أبنائهم بتلك المدارس سعيا وراء الوظائف المكتبية ، فاندثر التعليم الدينى شيئا فشيئا حتى اصبحت الكتاتيب نظاما تعليميا باليا فى القرن العشرين ، بل وانتهت الكتاتيب كلية بعد ان اصبح التعليم الرسمى فى الدولة هو التعليم المدنى وبعد توحيد المدارس والمعاهد والكتاتيب فى المرحلة الاولى فى نظام تعليمى موحد تحت اسم المدرسة الابتدائية فى النصف الثانى من القرن العشرين : فأصبح الدين مادة ثانوية الى جانب عشرات من المواد العقلية التى يدرسها الطالب فى المدرسة ، ولم يأخذ الدين نصيبه من العناية والاتقان فى المدارس حيث ان درجة النجاح فيه لا تؤثر على مستقبل الطالب الوظيفى .

والتجريبية فى مسيرته تلك لم يتمكن بعد من وضع نظرية تربوية متكاملة تحقق للانسان الامن والامان والاطمئنان ، ولم يتمكن ايضا من ايجاد حلول للمشكلات التى تظهر كل يوم وكل عصر . وذلك لأن الانسان غاص فى بحر العلم وسبح فى فضاء الكون من أجل تطويع الطبيعة الكونية وفق ارادته وليتمكن من السيطرة على بيئته بينما هو عاجز عن السيطرة على نفسه لانه اهمل الجانب الانسانى فى دراساته وابحاثه واعتقد فى قوة عقله واهتم بفكره فاغفل روحه واغفل معها قدرة خالقه عليه ، واهتم بالدنيا وظواهرها ومظاهرها ونسى الاخرة ونهايته القريبة منه فجاءت النظريات التربوية الوضعية عاجزة عن غرس الفضيلة فى نفوس التلاميذ كما عجزت عن تكوين المجتمع الفاضل . فبالامس البعيد تخيل أفلاطون جمهورية رشيدة ومجتمعا مثاليا فاضلا ، ومن بعده وضع الفارابى خطوات تكوين المدينة الفاضلة بعد ان عزت على الناس الفضيلة والرشاد ، وفى الوقت الحاضر ترتفع اصوات المفكرين والمربين والتربويين محذرين البشرية من احتمالات الغد وما يحمله فى طياته من مفاجآت ليست بالقطع فى صالح الانسان وما ينتظره من مشكلات تهدد أمنه وغذاؤه ، ومن ثم ابتدع الفكر مخرجا من هذه الورطة البشرية سماه « النظرة المستقبلية » ..

ويقصد المفكرون بكلمة « النظرة المستقبلية » الغوص فى اعماق المستقبل لاستكشاف اغواره والتنبوء بما سوف يكون فيه أو ما ينبغى ان يكون عليه اعتمادا على المنجزات العلمية التى تحققت او قوانين السببية أو بمعنى ادق قوانين الاحتمالات التى احيانا تصيب واحيانا تخطىء ، وهذا المخرج المتوهم لمشكلات الانسان عن طريق ما يسمى بالنظرة المستقبلية هو فى الحقيقة مهرب أو حيلة لجأت اليها البشرية حين عجزت عن مواجهة حقيقة خطاياها واخطاءها ومشكلاتها . والامر لا ريب فيه هو فى حقيقته ان الانسان سيطرت على عقله المادة فأهمل الروح . بحث فى الكون ونسى ان يبحث فى نفسه ، اهتم بالدنيا واغفل الاخرة ، سيطرت عليه الانانية فعاش لنفسه دون أن يأبه بعيش الآخرين معه ، طوع العلم لارادته ولم يطوع نفسه لارادة الله ، أى أنه أهتم بالعلم والعقل وتجاهل الدين والروح . فزادت مشكلات الانسان وانتشر الفساد فى المجتمع .

ومن اجل هذا نجد النظريات التربوية التى وضعها علماء الفكر والتربية تخاطب العقل دون القلب وتهدف الى تربية الفكر دون البصيرة وتهتم بتعليم الفرد من اجل اعداده للحياة ولا تهتم بتعليم الفرد من أجل آخرته . ولهذا رات المؤلفة لسد هذا العجز والقصور فى النظريات التربوية القائمة يجب العودة الى دراسة نظرية التربية فى الاسلام التى جعلت المجتمع الاسلامى فى عهوده الأولى حاملا لمشعل الحضارة والايمان فى العالم لعدة قرون .

حقيقة أن بعض المفكرين والتربويين قاموا بجهد لا يمكن اغفاله فى دراسة التربية العربية والاسلامية وظهر فيها كثير من المؤلفات والبحوث مثل الدراسة التى قام بها خليل طوطح فى كتابه « التربية عند العرب » ، واسماء فهمى فى رسالتها « مبادىء التربية الاسلامية » ود. احمد شلبى بكتابه « تاريخ التربية الاسلامية » وأحمد فؤاد الاهوانى برسالته « التربية فى الاسلام » أو « التعليم فى راى القابسى » ، و د. سعيد اسماعيل فى كتابه « تمهيد لتاريخ التربية الاسلامية » وغيرها من الكتب والبحوث ، وكلها دراسات مفيدة الى ابعد الحدود فى لفت انظار الباحثين الى تلك الناحية بالذات من تراثنا التربوى والتعليمى ، غير اننا حين ننظر الى امثال هذه البحوث والمؤلفات نجد ان اغلبها يتناول التربية الاسلامية بكل عصورها مرة واحدة دون تفرقة بين عصر وعصر ودون توضيح لاصول النظرية التربوية فى الاسلام ، أو انها تركز معظمها على دراسة فترة زمنية واحدة وهى التعليم فى القرن الرابع الهجرى كما جاء فى بحوث طلاب الماجستير والدكتوراه . ومن ناحية أخرى فان هذه الدراسات تمثل الاتجاهات الفكرية المختلفة التى سادت على مر العصور والتى مثلت جميع المراجع والكتب العربية المختلفة فى كل العصور الاسلامية وكأن العصور الاسلامية امتداد واحد اتحدت ظروفه والقوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تشكل فكره التربوى .

ورغم أننا لابد ان نقدر لهؤلاء المؤلفين والباحثين مثل هذا الجهد العلمى العظيم الذى شاركوا به فى خدمة التربية العربية الاسلامية الا اننا

نلفت النظر الى ان المنهج الصحيح لدراسة التربية الاسلامية لابد ان يفرق بين التربية الاسلامية فى كل عصورها . اذ ان الفكر التربوى الاسلامى لم يكن من بدايته حتى يومنا هذا فكرا جامدا بل خضع لكل ظروف التطور وعوامل التغير الاجتماعى ، ومن الافضل ان تدرس تلك التربية الاسلامية كاتجاهات تربوية أو مدارس فكرية مستقلة على أن تبدأ هذه الدراسات والابحاث بوضع النظرية التربوية فى الاسلام واصولها الفكرية التى جاء بها المنهج السماوى بوحى من الله على لسان رسوله محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى يصبح للمجتمع الاسلامى اساسا نظريا تسير على هداه وتاريخ تربوى اسلامى متتابعا زمنيا وفق آراء مفكرى الاسلام فى كل عصر ، يدرسه الطلاب العرب والمسلمين فى معاهدهم وكلياتهم الى جانب التاريخ التربوى الاجنبى الذى يدرس حاليا بتفصيل ووضوح ضمن مناهج التربية حتى يتضح للطلاب اوجه التشابه والاختلاف بين القيم والمعايير والاسس الفكرية والاصول والمبادىء الخاصة بكل نظرية تربوية ؛ والنظم والطرائق التربوية فى المجتمع الاسلامى وغيره من المجتمعات والشعوب فيعرف الطلاب ان هناك نظرية تربوية اسلامية لها مبادىء واسس سماوية وفلسفة تربوية اسلامية مستمدة من ظروف المجتمع العربى والشريعة الاسلامية التى نزل بها الدين فى آخر كتاب سماوى هو القرآن الكريم .

وكخطوة اولية وعملية نحو تحقيق هذا الهدف رأت المؤلفة ان تبدا بدراسة اول فترة زمنية فى تاريخ التربية الاسلامية وهى التربية فى عصر الرسول عليه الصلاة والسلام ، اذ ان هذا العصر من اهم الفترات فى تاريخ المجتمع الاسلامى وهو الاساس الفكرى والتربوى للعصور الاسلامية التالية ، ففى هذه الفترة وضع الرسول عليه الصلاة والسلام الاسس والمبادىء والاصول والمنهج لكل تربية اسلامية ووضع لنا نظرية تربوية مستمدة من القرآن والسنة كما وضع لنا اطارها التطبيقى وأمرنا ان نحتذى بحذوة ونسير على طريقه حتى لا نخطىء فى التطبيق ولا نضل الطريق .

وقال عليه الصلاة والسلام : « انى قد خلفت فيكم ما لن تضلوا بعدهما ما اخذتم بهما كتاب الله وسنتى » (رواه مسلم وغيره) .

المؤلف
د. آمينة أحمد حسن